Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

[٣] مواصفات السجع الجيد عند القدامى:

قدّم البلاغيون فى تناولهم لبنية السجع دراسة موسَّعة حول المواصفات الأوّلية التى ينبغى أن توجد فى السجع الجيّد. وبالنظر فى مؤلفات البلاغة يتضح أن المواصفات المتعلقة بالجودة اتسمت -فى الغالب- بكونها شروطًا سلبية؛ ذلك أن البلاغيين قد طرحوها فى صورة مجموعة من المحاذير التى يشترط غيابها كى يدخل السجع دائرة الجودة. ولا يكاد يخلو مؤلف بلاغى اهتم بظاهرة التسجيع من ذكر مواصفة أو أخرى من المواصفات الفارقة بين السجع الحسن والسجع القبيح المتكلف. والملاحظ أن نطاقات النظر البلاغى امتدت فى استظهار تلك المواصفات -أو المحاذير- إلى مستويات عدّة، فقد بدأ البعض حركته من منطقة الحرف المعزول دلاليا، والذى ينتج التسجيع من تكرار صورته السمعية فى ختام كل عبارة، وفى طليعة هذا الفريق "ابن سنان الخفاجى"، يَرْثَى لما أصاب بعض الخطب وغيرها من الكلام المنثور من تكلُّف من جرّاء انشغال مبدعيها بصنعة التحسين بالمسجوع من القول، فقذف هذا التمادى وابلاً من غلواء التكرار. ومن هذا المنطلق قدَّم الرجل شرطًا يجب اعتماده فى السجع، حيث أوصى بألا "تجعل الرسالة كلها مسجوعة على حرف واحد لأن ذلك يقع تعرّضا للتكرار، وميلاً إلى التكلّف".(١)

وإذا كان النظر البلاغى قد انصرف فيما سبق إلى حيّز الروى الواقع فى ختام الفاصلة، فإن البلاغيين قد توغلوا إلى نطاقات أرحب، يستظهرون المواصفات التى ينبغى توافرها فى السجع الجيد، والمحاذير التى ينبغى تجنبها فيه على كافة مستويات الوصف اللغوى: المستوى الإفرادى والمستوى التركيبى، وعلى مستوى الدلالة المتعلقة بالمفردات المسجوعة وبالتراكيب نحوية كانت أو سجعيّة.

فعلى المستوى الإفرادى، لم تترك البلاغة للمبدع حريّة التعامل مع أى دال لمجرّد أنه ينتهى بالحرف الأخير الذى يُبنى عليه السجع، فعمليّة الاختيار محكومة بمجموعة من المواصفات التى ترشح لفظة دون بدائلها للحلول فى ختام العبارة. وقد عمد "ضياء الدين بن الأثير" إلى الكشف عن إجراءات الحُسن فى

---

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى، ص ١٧١.